KnE Social Sciences
AICHS
Third International Conference on Human Science
Volume 2023

Research Article

أساليب التربية في القرآن الكريم - "الحوار نموذجا"

Methods of Education in the Noble Qur'an ``Dialogue as a Model"

أ.م.د. محمد حسين عودة الكبيسي أ.م.د. علي اغنيان محمد

قسم القرآن الكريم وعلومه- كلية العلوم الإسلامية- جامعة الفلوجة العراق

الملخص

انطلق البحث من حقيقة كون القرآن الكريم يمثل منهجاً شاملاً للحياة، وأوضح مفهوم التربية، الذي تبناه كتاب الله عزّ وجل، وبين المفهوم العام للأساليب التربوية، التي تبناها كتاب الله عزّ وجل، لينطلق بعدها في دراسة أسلوب الحوار فيه، باعتباره أحد أهم أساليب الحوار، ببيان اهتمام القرآن الكريم بهذا الأسلوب، وإظهار السمات العامة له، من خلال بيان ما تناولته الآيات القرآنية التي جاءت بصيغة الحوار، وعالجت مختلف المواضيع التربوية، والإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية.. الخ. وخُتم البحث بأهم ما توصل له من نتائج.

الكلمات المفتاحية: التربية، القرآن الكريم، الحوار، أساليب، دراسات

Corresponding Author:
Mohamed Hussien Aoda Alkubaisi; Email: Dr.mohammed.alkubaisi@ uofallujah.edu.iq

Published 13 March 2023

Publishing services provided by Knowledge E

© Mohammed Hussein Aoda al -- Kubaisi. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use and redistribution provided that the original author and source are credited.

Selection and Peer-review under the responsibility of the AICHS Conference Committee.

Mohamed Hussien Aoda Alkubaisi, Ali Aghnian Mohamed

College of Islamic Sciences, Fallujah University, Iraq

Abstract

The research started from the fact that the Holy Qur'an represents a comprehensive approach to life, where it clarifies and explains the general concept of educational methods, which was adopted by the Book of God Almighty, and then proceeds to study the methods of dialogue in it, as it is one of the most important methods of dialogue. Explaining the interest of the Holy Qur'an in this method and showing its general features by explaining how the Qur'anic verses came in the form of dialogue and dealt with various educational, faith, moral, social, and cultural issues, etc. The research was concluded with the most important findings.

Keywords: education, the noble Qur'an, dialogue, methods, studies

OPEN ACCESS

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على نبينا سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، وصحابته خير الخلق أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الإسلام يمثل منهجاً شاملاً للحياة، والقرآن الكريم كتاب هداية ونور، ملئه بالعلم والمعرفة، والخلق الرفيع، فهو دستور ومنهج تربوي رباني، وقد حوى على أساليب مختلفة في التربية، ويمثل أسلوب الحوار، احد أهم تلك الأساليب التربوية.

وقد اهتم القرآن الكريم بالحوار اهتماماً كبيراً، وأورد نماذج مختلفة له، فالمتأمل بأسلوب الحوار يجد أن القرآن الكريم أظهر الكثير من الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى، وقدَّم الكثير من الأدلة والبراهين، لإثبات هذه الحقيقة.

كذلك اتسم هذا الحوار بالشمول والتنوع لمختلف جوانب الحياة، من ترسيخ المفاهيم الصحيحة للعقيدة والإيمان بالله عزَّ وجل، كذلك نجده تناول مسائل اجتماعية وأخلاقية، وأمور تربوية تعليمية كثيرة متنوعة.

لذلك كان اختيار عنوان بحثنا (أساليب التربية في القرآن الكريم "الحوار أنموذجاً")، نسعى من خلاله إلى تسليط الضوء على هذا الأسلوب الحيوي والمتميز، من أساليب التربية وهو أسلوب الحوار.

ولإعطاء الموضوع حقه، سنتناوله من خلال المحاور الآتية :

١- الحوار تعريفه وأهميته وأهدافه

٢- الحوار سماته ودوره في التربية

3- الحوار التربوي في القرآن الكريم وأثره في التربية

وفي نهاية هذا البحث الخاتمة التي ذكرنا فيها أهم النتائج من هذا البحث.

نسأل الله تعالى القبول والتوفيق دائماً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين إلى يوم الدين.

الباحثان

تمهيد في مفهوم التربية

لابد أولاً قبل الحديث عن الحوار القرآني باعتباره أحد الأساليب التربوية من بيان معنى التربية لغة واصطلاحاً ، وكما يأتي:

- مفهوم التربية لغة:

بالنظر في معاجم اللغة العربية، نجد أنّ مفهوم التربية لغة يرجع إلى أصول ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ}(1) (2).

الأصل الثاني: ربى يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع.

وعليه قول ابن الأعرابي:

فمن يك سائلا عني فإني ... بمكة منزلي وبها ربيت (3)

الأصل الثالث: ربّ يربّ بوزن مد يمد بمعنى أصلحه وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، ومن هذا المعنى قول حسان بن ثابت كما أورده ابن منظور:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا ... يوم الخروج بساحة القصر

من درة بيضاء صافية ... مما تربب حائر البحر

وقال: يعني الدرة التي يربيها في الصدف، وبين: بأن معنى: تربب حائر البحر: أي مما تربيه، أي رباه مجتمع الماء في البحر. قال: وربيت الأمر أربه ربا، وربابا: أصلحته ومتنته (4).

- مفهوم التربية اصطلاحاً:

هو عملية نمو واكتساب للخبرة، واستخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خُلقيًا وعقليًا، لإحداث تغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد خاصة وفي المجتمع عامة، بواسطة تفاعل الفرد مع البيئة المحيطة به من أفراد وكائنات حية وغيرها (5).

ويرى العلماء المسلمون أن التربية الإسلامية فلسفة واضحة مستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي تتعهد الإنسان بدنيًا وعقليًا وروحيًا. وقد كثر الكلام في تعريف التربية الإسلامية، وصال العلماء وجالوا حول مفهومها من منظور الإسلام.

فقد عرّفها بعضهم بأنها إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة. وبأنها تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتي بها الإسلام, والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام. وعرفها البعض الآخر بأنها الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية توجيهًا مباشرًا بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة وفق منهج خاص(6).

ويمكن القول بصفة عامة أن التربية هي :

عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة. أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم ،أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع. وعرَّفها علماء التربية الحديثة بأنها تغيير في السلوك(7).

المحور الأول

الحوار تعريفه وأهميته وأهدافه

حرصت التربية الإسلامية على تنويع أساليبها في التربية، فيستعمل التربية القدوة تارة، وضرب الأمثال تارة ثانية، وبالقصص تارة ثالثة. وهكذا تتنوع الأساليب في التربية والتعليم، والتهذيب، والهدف واحد، هو إصلاح المتربي والمتعلم وتوجيههما على حسب الحال والمال.

ومن أهم الأساليب التي عنيت بها التربية الإسلامية وأولتها اهتماماً خاصاً هو أسلوب التربية بالحوار، إذ أن الله عز وجل بدأ الخلق بالحوار مع الملائكة فعلمهم وألزمهم الحجة.

- أولا: المعنى اللغوي للحوار:

جاء في مختار الصحاح: (والمحاورة : المجاوبة، والحوار : التجاوب)(8).

وفي القاموس المحيط: (واسْتحارَهُ: اسْتَنْطَقَهُ، وما أحار جواباً: ما ردَّ جواباً، وحَوَّرَهُ تَحْوِيراً: رَجَعَهُ، والتحاور، وتحير الماء: دار واجتمع)(9).

وجاء في لسان العرب: (الحور: الرجوع عن الشيء والى الشيء، حار إلى الشيء، وعنهُ حَوراً ومَحاراً ، ومَحارَةً وحُوراً: رجع عنه واليه. والحوار: النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجع من حال إلى حال)(10).

ومن ذلك يتبين لنا أن الحوار وردَ أصله من الرجوع ، وحاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار، وحاورته بمعنى كلّمته(11).

- ثانياً: المعنى الاصطلاحي للحوار التربوي:

هناك معاني متباينة للحوار، والتي وقفنا عليها من التعريف اللغوي للحوار، وهي:

المراجعة، والتجاوب، والخطاب، ومع هذا التباين، إلاَّ أننا نجد أنها جميعا تدور حول معنى واحد وهو الحديث الشفهي. لذا نجد أن أصوب تعريف اصطلاحي للحوار هو: (الحديث الشفهي الذي يجري تبادله بين أكثر من فرد، سواء في شارع أو بيت أو مدرسة أو جمعية، أو منتدى....الخ)(12).

وهناك تعريف آخر يقول: (هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر به، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب)(13).

وهو معنى قريب جدا لموضوع الدراسة. ويمكن أن نستخلص التعريف الآتي:

أنه محادثه بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى اكبر قدر ممكن، من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر(14).

وممَّا لا شك فيه أن تبني مثل هكذا مفهوم علمي واقعي للحوار التربوي الهادف سيكون له دوره الفاعل في توجيه وإرشاد الأجيال من الشباب والفتيان، بالتقصي عن الأسلوب الأمثل والأنجع في الحوار التربوي البنَّاء الهادف، وخاصة إذا ما التزم المُحاور بأصول الحوار وآدابه.

ثالثاً: أهمية الحوار وأهدافه:

أ- أهمية الحوار: إن ممَّا يدعو إلى الحوار مع الأبناء داخل الأسرة والمدرسة والجامعة، هو القناعة بهدف نبيل يتمثل في : تحقيق التقبّل عن طريق التواصل اللفظي وغير اللفظي، مع الأبناء أو الطلبة أو غيرهم-من المستهدفين بالحوار- وهذا يتحقق عن طريق الحوار الايجابي، الذي يتيح فرصة لبناء شخصية الطرف الآخر، والمساهمة في نموهم النفسي والعقلي، بعيداً عن اللوم، والحكم المتسرّع ، والتوجيه الجاف، وغرس الكبت والعداء في نفوس الأبناء.

إن الاختلاف بين البشر أمر وارد، والحوار المحمود من شأنه تقريب وجهات النظر، والتوصل إلى حلٍّ وسط يرضى به المتحاورون، ويمكن معرفة أهمية الحوار وإدراك حاجتنا إليه من خلال الآتي:

1- كثرة استعمال الحوار في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه من الأنبياء بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله، فلا يخلو منه زمان، ولم يستغنِ عنه نبي ولا عالم ولا مربي أو مصلح اجتماعي(15).

ومن أمثلة القرآن الكريم:

حوار الله عز وجل: مع الملائكة ومع السماء والأرض، ومع موسى عليه السلام، ومع إبليس، وكذلك حوار الملائكة مع بعض الأنبياء كإبراهيم وزكريا ولوط (عليهم السلام).

وأيضاً حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد . والأمثلة كثيرة جدا في القران الكريم.

ومن أمثلة الحوارات في السنة النبوية المطهرة:

حوار الرسول صلى الله عليه وسلم: مع الأعراب، ومع النساء، ومع نساء المؤمنين، ومع اليهود، ومع الصغار، ومع أصحابه، ومع الملائكة، ومع زوجاته، ومع المنافقين، ومع الوفود، ومع الأنصار، ومع الملوك، ومع الخدم. والأمثلة كذلك كثيرة في السنة النبوية.

وكل ذلك يبين لنا أهمية الحوار ، ومدى اهتمام التربية الإسلامية بهذا الأسلوب المهم من التربية، ولفت أنظار المربين إليه.

2- نستطيع في ضوء ممارسة الحوار مع الطرف الآخر أن نحقق غايات وأهداف سامية ونبيلة. كلها تساعد في (التوصل إلى الحق، وإظهار الصواب وردّ الشبهة وإبطالها)(16).

3- يعد أسلوب الحوار من أهم أساليب التربية الإسلامية، لذلك فمن واجب كل من يعمل في مجال التربية الإسلامية، سواء أكان في محضن تربوي، كالأسرة أو في مؤسسة تربوية كالمدرسة أو الجامعة أن يعنوا بمثل هذا الموضوع فيبحثوا فيه ويتكلموا عنه. فهم أحق بذلك وأولى(17).

4- إن الإسلام يتفاعل مع التعددية الحضارية ويعتمد في ذلك على التواصل الإنساني(18) .

وقد جاء الإسلام إلى حضارات مختلفة تحتوي على ثقافات ومفاهيم وقيم جمَّة، بعضها موافق للمنهج الرباني ومنه العقل والفطرة السليمة، وبعضها لا توافقه.

وبما أن الإسلام جاء بوظيفة أساسية هي تبليغ المنهج الرباني وتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة لذلك تبرز هنا (أهمية الحوار؛ لأنه يعالج بعض الآثار التي خلفتها الصراعات الناشئة عن الجهل بالمفاهيم)(19)

رابعاً: أهداف الحوار في القرآن والسنة:

في ضوء استقراء بعض الأمثلة في القرآن والسنة، نجد أن القرآن الكريم هدف في استعماله الحوار إلى أهداف منها:

(تثبيت العقيدة وترسيخها في أفئدة المسلمين، وهو ليس مقصودا لذاته، إنما هو وسيلة للإرشاد، والإيمان، والعظة، وشرح الأوامر والنواهي الشرعية.

وشرح فكرة الحق والخير، والتعاون بين الناس كمنهاج قويم في حياتهم، واثبات الوحي والرسالة)(20).

وكذلك لبيان أن الله سبحانه وتعالى ينصر أنبيائه ، ويهلك المكذبين ، وذلك تثبيتاً للعقيدة في الأفئدة.

ففي قصة نبي الله نوح عليه السلام يبين الله عز وجل في ضوء حواره مع قومه، ثباته وهدفه، قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " * قالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ * وَيا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قالُوا يَا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(21)، وتبعاً لهذا الغرض أظهر الله تعالى مصارع القوم(22).

فجاء في سورة العنكبوت نهاية قوم نوح ، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ* فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ}(23).

ومنها أيضاً بيان نعمة الله تعالى على أنبيائه ، والبشارة لعباده المؤمنين، والتحذير لغيرهم فهذه نعمة الله تعالى على إبراهيم وتبشيره له، قال تعالى: {وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قالُوا لا

تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ}(24). وكل ذلك احترام لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله، الذي ينبغي أن يقتنع عن بيّنة ونور.

أما الحوارات النبوية ، فهدفت إلى تحقيق أمرين : الأول : عام، والثاني: خاص.

يشتمل الهدف العام في الأحاديث النبوية : أن الله عز وجل خلق الإنس والجن ليعبدوه، قال تعالى: { وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(25).

أمَّا الأهداف الخاصة فهي تتعدد، وتختلف في كل محاوره عن الأخرى أو تتشابه معها، وهي كثيرة يدركها الإنسان من قراءته للحوار المحدد. وتختلف باختلاف المُحاور الآخر، وموضوع الحوار وموقف الطرف الآخر من الموضوع .

ومن هذه الأهداف في الحوارات النبوية- على سبيل المثال-: الإقتناع بالإسلام وتعاليمه: (معتقداته، وعباداته، وتشريعاته).والتثبيت على الإيمان. والتعود على التسليم لأوامر الله تعالى وتيسير الطاعة لله عزَّ وجل... وحسن الاستثمار لنعمه تعالى والتعود على المداومة في فعل الخيرات، والاقتصاد فيها وحفظ الحقوق(26) .

آداب الحوار:

تؤكد الدارسات التربوية والدينية على حقيقة مهمة مفادها : من أراد أن يحقق مهارة اتصال وتواصل بنجاح مع الآخرين في ضوء الحوار، عليه أن يلتزم بآدابه وأخلاقياته. وهي -- على العموم- آداب يتحلى بها الفرد ليحقق له الهدف المرجو من الحوار، والتي تتجلى في المسائل الأساسية الآتية(27):

أ- الاحترام المتبادل:

ابتداءاً لابد أن يسود جو الحوار الاحترام المتبادل بين الطرفين ولابد لكلا الطرفين أن يبدي التقدير للآخر دون تملق أو نفاق أو كذب أو نحوه.

ب- التواضع وحسن الخلق:

تؤكد التربية الإسلامية عبر أساليب تربوية شتى على قيمة مهمة من قيم ديننا الإسلامي الحنيف، ألا وهي: التواضع وحسن الخلق.

ولنا أن نتصور ذلك الحوار الذي يدور بين طرفين يشعر أحدهما أن الآخر يتغطرس أو يتعجرف في تصرفاته أو في كلامه فإن المحصلة هي أن الطرف المقابل سيشعر بعدم جدوى الحوار ابتداءً ؛ لأن النتيجة ستكون معلومة لديه.

وسيفضي ذلك حتماً إلى نهاية الحوار، ولذلك يجب على المتحاورين أن يتحلى بالتواضع ولين الجانب.

جـ- حسن الاستماع والإنصات:

يعلمنا نبينا صلى الله عليه وسلم في كل حواراته حسن الاستماع والإنصات للطرف الآخر وإن كان مختلفاً في مسلَّمة من المسلَّمات(28).

ولا يخفى أن حسن الاستماع والإنصات: (أدب من أعلى الآداب السلوكية التي يتصف بها الإنسان ، إذا نجح في السيطرة على ذاته، وهو كذلك مهارة إنسانية راقية لابد منها للتعليم واكتساب المعارف والعلوم) (29).

المحور الثاني

الحوار سماته ودوره في التربية

لقد أولى الإسلام منهج التربية للفرد والمجتمع عناية فائقة ورعاية جليلة ، فالمنهج الإسلامي دائماً ما يقدم الوقاية على العلاج في سائر أموره؛ بدءاً من أمور العقيدة ومروراً بأمور التربية، وانتهاءً بأمور الفقه والعبادات.

وتعرَّف التربية: بأنها " التربية الهادفة إلى صيانة فطرة الإنسان، وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية، عن طريق اخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الإعمال ؛ ليظل الفرد على الصراط المستقيم مهتدياً {لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ}(30) في كل جانب من جوانب الحياة"(31).

إن غاية التربية الإسلامية هي إيجاد المسلم الصالح ، والمجتمع السوي الناجح ، لذا كان لابد من إيجاد وسائل قوية ومؤثرة، ومتنوعة لتحقيق ذلك الهدف السامي، ولابد من أن تكون تلك الوسائل نبيلة؛ فالإسلام يرى نبل الوسيلة من نبل الهدف.

ومن الوسائل والأساليب التي استخدمتها التربية في تربيتها الفرد والمجتمع أسلوب الحوار وما في معناه: ذلك الأسلوب التربوي الناجح والفاعل في حمل النفس على الخير، وصدَّها عن الشر. وإن أسلوب الحوار التربوي من أعظم الأساليب التي استخدمها الإسلام في التربية للفرد والمجتمع . فالحوار التربوي يساعد في فتح قنوات تواصل لتبادل الأفكار والآراء بطريقة بنَّاءة ، كما يساعد في التخلص من كثير من الأفكار والأوهام الفكرية السلبية.

أولاً- مقومات المُحاور التربوي:

إن لب موضوع الدراسة قائم على معالجة قضية مهمة ، وهي قضية الحوار. وهي قضية جديرة باهتمام كل من له علاقة بالعمل التربوي الدعوي لبناء مجتمع صالح، وتزداد الأهمية بالنسبة إلى المُحاور الذي سوف يتولى دفة الحوار مع الفئة المستهدفة بالمحاورة.

- وعند اختيار المُحاور؛ لابد أن يكون مُحاوراً ناجحاً، وشروط نجاح حواره بهذه القضية أن يكون:

1- أن يكون مُلماً ومحيطاً بقضايا المجتمع المعاصرة.

2- حكيماً فطناً فقهياً في قضايا عصره.

3- لديه إلمام جيد بالمشكلات المطروحة على الساحة.

4- متفتح العقل واسع الأفق.

5- مدركاً أهمية الموضوع الذي سيخوضه ، لان الحوار موضوع له أهميته الكبرى في المجالين الفكري والعملي، وسياحة فكرية لها أهميتها القصوى.

6- أن يكون محيطاً بمعارف شتى من العلوم، وعلى قدر كبير من الثقافة.

8- متخصصاً في مادة الحوار.

والحوار مظهر حضاري يعكس النضج الفكري للمجتمع وأفراده ، ولإنجاح الحوار لابد من الوقوف على أساسيات المحاور الناجحة، وفي مقدمتها الإخلاص في الحوار من خلال:

1- تحديد الغاية من الحوار؛ وهي رد الفئات المستهدفة من الحوار إلى الحق والصواب.

2- تحرّي الصدق والأمانة في الحوار، وعن ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ((إن الصدق يهدي إلى البرّ ، وان البرَّ يهدي إلى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقاً ، وان الكذب يهدي إلى الفجور، وان الفجور يهدي إلى النار، وان الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً))(32) .

3- التركيز على القضية وليس على الشخص ذاته ، أو على الموقف.

4- الإنصات الجيد: إن الإنصات الجيد له تأثيره الكبير الفاعل في الطرف ألآخر وهو مهارة يجب على المُحاور الناجح أن يتقنها ومن الإنصات الجيد: النظر إلى الطرف الآخر، والجلوس في اتجاهه ، وإفراد السمع له، وتركيز الذهن

معه، ومتابعة عرضه أفكاره الرئيسية والفرعية، وعدم صرف النظر عنه، وعدم الانشغال عنه، بأي صارف أثناء حديثه، ومقاطعة كل المداخلات والخواطر الدخيلة، والوضوح في طرح الأفكار(33).

- ولابد من الإشارة إلى أهمية استهداف الشباب بالحوار التربوي الإصلاحي وان يتمتع المحاور بقدر كاف من الإطلاع على مشاكل الشباب وإيجاد الحلول المناسبة لها.

للشباب حاجاتهم التي ترتبط بخصائصهم، مما يستدعي من المهتمين بأمورهم التعرُّف إليها، ليكون التخطيط في مجالات الشباب متماشياً وتلك الخصائص والمتطلبات .

فمرحلة الشباب مرحلة انتقالية، لها مقوماتها الدينية، والنفسية، والعقلية، والاجتماعية، سواء أكانت هذه المرحلة الانتقالية هادئة أم عاصفة، فان فهمها ومواجهتها مرتبطان بفهم كل مرحلة من مراحل العمر على حده ومقارنتها بالمرحلة الأخرى.

" والمتطلبات والحاجات ذات صلة قوية بالدوافع عادة، فكلما ظهر دافع مَهَّدَ لظهور حاجة مناسبة له، فدافع الجوع على سبيل المثال يُعدُّ تمهيداً لظهور الحاجة إلى الطعام، وبتحرك الدافع تظهر الرغبة في كل ما من شأنه تلبية إشباع تلك الحاجة"(34).

- وتساعد التربية الإسلامية الروحية الصحيحة إلى تقويم واستقامة سلوكيات ومنهجية التفكير السليم عندهم. إن الاهتمام بمتطلبات الشباب وفق مجموعة من القيم والمبادئ مدروسة مع الأخذ بنظام أخلاقي مُحكم، تكون له بمنزلة فلسفة منطقية في الحياة(35).

- وإذا كان للشباب حاجات أساسية يشتركون فيها عامة طبقاً لخصائصهم، وهناك حاجات للذكور بخلاف حاجات الإناث. كما تتباين الحاجات من مجتمع لآخر؛ وفقاً لاختلاف المجتمعات من حيث المناخ، ودرجة التحضر، وأساليب المعيشة والتربية، والقيم، والعادات والتقاليد، والحياة السياسية، والنشاط الاقتصادي، وغير ذلك من خصائص المجتمع.

ثانياً- سمات الحوار القرآني:

للحوار القرآني سماتٌ لا تجتمع في غيره من الحوارات ، هذه السمات تدورُ مع الخصائص العامة لهذا الكتاب ، الذي نزل هدايةً ورحمةً، وتبصرةً وذكرى ، وحجةً وبرهاناً، فضلاً عن كونه المعجزةَ الخالدةَ والآيةَ المتجددةَ التي تحدَّى اللهُ بها العربَ والعجمَ ، بل الإنس والجن، ومن أبرز هذه السمات:

1- العموم: كمخاطبتُه لجميع الناس على اختلاف مداركهم، مع الجمع بين الوضوحِ والبيانِ والدقَّةِ والإتقان ، ولا تلقى فيه تعارضا أو تناقضا أو تفاوتا في روعة الأساليب ورفعتها وجلالها ودقتها .

2- الواقعية: وهي في كل ما جاء به من تشريعات ، تناسبُ الواقعَ ، وتعالجُ النوازلَ والوقائعَ . ومن واقعية المنهج القرآني نزوله منجما حسب الوقائع والأحداث ، ومتابعته لكل ما يستجد على ساحة الدعوة على مدار مرحلتيها المكية والمدنية .فالحوارِ القرآني حوارٌ واقعيٌّ.

3- التدرج في إقامة الحجج:

حيث الانتقالُ من حجة إلى حجة ، بعد اقتناع الخصم وتسليمه بها ، والتدرج أيضا في الموضوعات حيث البدء بالأصول ثم الانتقال إلى الفروع ، كذلك التدرُّج مع الخصم في الإقناع ، كما في قصة إبراهيم مع قومه (36).

4- القوة : قوة الحق وسلطانه على النفوس وتأثيره في القلوب وتغلغله في الصدور، فترى المحاور ثابتا مطمئناً واثقاً مستيقناً بأن الله تعالى يؤيده بالحجج ويمُدُّه بالثبات أمام خصوم الدعوةِ، فلا يأبه بهم ولا يلتفت لتهديداتهم التي يلجئون إليها حين تُعْييهم الحجج وتُلجمُهم البراهين ، كما في قول إبراهيم - عليه السلام-: (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) إلى آخر الآيات (37) (38).

5- الوضوح والبيان والصراحة:

إن أسلوب الحوار للمحاور لا بدَّ وأن يكون واضحاً أمام الآخرين في نهجه ومقصده كما كانت حياة نبينا - صلى الله عليه وسلم - كتاباً مفتوحاً أمام البشرية فهو بشرٌ رسولٌ مؤيَّدٌ عن الله متبعٌ لمنهجه الذي لا لبس فيه ولا غموض ، كما في الآية الكريمة: (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)(39)، وقوله تعالى: (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ)(40).

6- التكرار:

تكرار المعاني والأخبار لإخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارة، وبأساليب مختلفة تفصيلاً وإجمالاً، وتصريف الكلام في ذلك حتى يتجلى إعجازه، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده، ولا نكادُ نعثر في حوار القرآن كله على معنى يتكرر في أسلوب واحد من اللفظ، ويدور ضمن قالب واحد من التعبير.

والتكرار هو وسيلةٌ من وسائل الإقناع ومنهجٌ تربوي أصيلٌ، وفيه موعظةٌ وتذكيرٌ ولا غنى في ذلك عن التكرارِ وفيه زيادةُ تفصيلٍ وبيانٍ.

وقد قال سبحانه وتعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(41)، أي أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }42، أي لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والركاكة 43.

7- التنوع:

وهذه ظاهرة جليّة تظهر في طريقة التعبير القرآني، فمهما اختلفت بحوثه وموضوعاته لا تجد في الجملة القرآنية كلمة زائدة يصلح المعنى مع الاستغناء عنها، ولا تستطيع أن تترجم معناها بألفاظ عربية من عندك إلا في عدد من الجمل مهما حاولت الإيجاز والاختصار. ومع هذا التنوع فإنَّ دلالة التعبير القرآني على أوسع معنى تكون بأقصر عبارة.

مثال على هذه الحقيقة، قوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرى* وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحى)(44)، حيث جعل الله تعالى الجوع في هذه الآية مع العري، والظمأ مع الضحاء، وكأن عرف الكلام أن يكون الجوع مع الظمأ المتناسب والعري مع الضحاء؛ لأنها تتضاد إذ العري يمس بسببه البرد، والحر يفعل ذلك بالضاحي. قطع الظمَأ عن الجوع وهما نظيران، والضحاء عن العرى وهما نظيران كذلك؛ وإن الداعي إلى هذا العمل هو تكثير النِعَم(45).

ويرى بعض الباحثين أن الآية تضمنت ضرورات الحياة الأربع: الطعام، والكساء، والمسكن، والشراب، وقد جمعت في هاتين الآيتين الكريمتين 46.

وأعلمنا في هذه الآية الكريمة أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة : الطعام والشراب والكسوة والمسكن ؛ فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها ؛ فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور ، فأما هذه الأربعة فلا بد لها منها ؛ لأن بها إقامة المهجة(47). هذا فضلاً عن تناسب هذا الحوار ومواكبته لجميع العصور ومراعاته لتفاوت العقول واختلاف الثقافات (48).

8- التداخل أو الامتزاج:

من سمات الحوار القرآني تداخل موضوعات الحوار أو امتزاجها ، ومع تنوع موضوعاتها إلا أنها يجمعها موضوع رئيسي فهي في جملتها تدور حول ترسيخ العقيدة في القلوب والوجدان وتقريرها في العقول والأذهان ، مع ما يتعلقُ بها ويترتب عليها من أحكامٍ عمليةٍ (49).

المحور الثالث

الحوار التربوي في القرآن الكريم وأثره في التربية

اهتم القرآن الكريم عناية كبيرة بلغة الحوار، باعتباره كتاب دعوة وإرشاد، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع، والإقناع امثل طريق لتحقيق الإيمان، ولا يمكن فرض الإيمان، وإنما يكون بالإقناع النابع من داخل الإنسان، وقد اهتم القرآن الكريم بأسلوب الحوار، وقدمه لنا في آيات مباركة، منها على سبيل المثال :

- الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، والرجل الذي وهبه الله تعالى الملك، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(50).

هذا الحوار الذي قدَّمه القرآن الكريم، يمثل صورة ناصعة لاستعمال القرآن الكريم أهم أسلوب للدعوة،لأسمى غاية دينية، وهي إثبات وحدانية الباري جلَّ في علاه. من خلال إثبات قدراته الخلقية، وتفرده بأسباب الإحاطة والتمكين.

وكانت نتيجة هذا الحوار، أن بهت هذا المدعي، ولم يستطع مقابلة الحجة الدامغة، التي أفحمه بها، سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، فكان ولازال مضمون هذا الحوار. ونتاجه.. حجة لكل مكابر ومعاند.

- ونذكر مثالاً هامّاً آخر، يؤكد أهمية استخدام الحوار، في إثبات حقيقة أساسية من حقائق الإيمان بالله تعالى وقدرته في الخلق والعدم والبعث، وهو قوله تعالى : {كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(51).

في هذه الآية الكريمة، التي قدمت بصورة حوار، وقوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} قد تهدمت دورها، وخوت على عروشها، فقال؛ كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها؟ إستعظاماً لقدرة الله تعالى، { فَأَمَاتَهُ اللَّهُ} وألبثه {مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} أحياه ليريه كيفية ذلك قال تعالى له: {قَالَ كَمْ لَبِثْتَ} مكثت هنا {قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} لأنه نام أولا لنهار فقبض وأحيي عند الغروب، فظنّ أنه يوم النوم، قال: {قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} لم يتغير، مع طول الزمان، {وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ} كيف هو؟ فرآه ميتاً، وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم(ولنجعلك آية) على البعث {لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ} من حمارك، {كَيْفَ نُنشِزُهَا} نحيها، {ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}، فنظر إليه وقد تركبت العظام وكسيت لحما، ونفخ فيه الروح، ونهق. فلما اتضح ذلك عياناً، اعترف بعظمة الله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس(52).

هنا -- كما في الآية السابقة- تظهر أهمية وفاعلية أسلوب الحوار في المنهج الدعوي والإيماني للقرآن الكريم، وهنا جاء لإثبات حقيقة أيمانية أخرى، وهي البعث وفي طلب سيدنا موسى (عليه السلام) من الله سبحانه وتعالى رؤيته، قدم لنا القرآن الكريم، هذه الحكاية، بأسلوب حواري، يثبت فيه جلاله وكماله، وأنه جلَّ جلاله لا تحيط به الأبصار، ولا يمكن رؤيته في (هذه الحياة الدنيا) ، قال تعالى : {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }(53).

يحدّثنا رب العزة سبحانه وتعالى عن سيدنا موسى عليه السلام، إنه لما وصل إلى طور سيناء، لمناجاة ربه فقال: { وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} أي: خاطبه من غير واسطة ملك {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ}، أي: قال: موسى حين كلمه ربه وسمع منه: رب أرني ذاتك الجليلة. فكان الجواب {قَالَ لَن تَرَانِي} أي: لن تطيق رؤيتي، وأنت في هذه النشأة، وعلى الحالة التي أنت عليها في هذه الدنيا، فنفي الرؤية منصب على الحالة الدنيوية، ثم قال تعالى: {وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ

فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} أي : لن تطيق رؤيتي يا موسى، ولكن انظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك، {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ} أي: ثبت مكانه حين أتجلى له ولم يتفتت

من هذا التجلي،{فَسَوْفَ تَرَانِي} أي: تثبت لرؤيتي إذا تجليت لك وإلا فلا طاقة لك لرؤيتي، ثم بين سبحانه وتعالى ما حدث للجبل عند التجلي، وقوله تعالى: {وَخَرَّ موسَى صَعِقاً}، أي : سقط منه ولما رأى من النور الذي حصل به التجلي مغشياً عليه، كمن أخذته الصاعقة(54) .

في هذه الآية الكريمة.. استعمل القرآن الكريم أسلوب الحوار.. وكان غاية في الإبداع.. حيث بيّن لنا ذلك الحوار مجموعة من المسائل، والتي يهمنا منها -- بقدر مهمة البحث- ذلك التصوير الآلهي لهذا المشهد الرهيب، الذي كان مع سيدنا موسى (عليه السلام)، والذي تم من خلال أسلوب الحوار..

ونذكر مثالاً هاماً، للأسلوب الحواري، في القرآن الكريم، وهو ما جاء عن قصة سيدنا عيسى (عليه السلام)؛ فمن خلال الحوار قدم لنا القرآن الكريم حقيقة دعوى إلوهية عيسى وأمه (عليهما السلام)، قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ }(55).

هذا أيضاً ممَّا يخاطب الله بِهِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَضْرَةِ مَنِ اتخذه وأمه إلهين من دون اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تعالى(56).

وكان النداء بقوله سبحانه: { يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} أي: بغير ذكر النبوة، للإشارة إلى الولادة الطبيعية التي تنفى أن يكون إلها أو ابن إله أو فيه عنصر الإلوهية بأي وضع من الأوضاع؛ لأن الإلوهية والبشرية نقيضان لا يجتمعان فلا يمكن أن يكون البشر فيه إلوهية، ولا إله فيه بشرية. والتعبير بقوله {اتَّخِذُونِي} يدل على أنه ليس له حقيقة، بل هو في ذاته اتخاذ بما لا أصل له.

والمقصود بالاستفهام في قوله تعالى: {أَأَنْتَ قُلْتَ} توبيخ للكفرة من قومه وتبكيت كل من نسب إلى عيسى وأمه ما ليس من حقهما، وفضيحتهم على رءوس الأشهاد في ذلك اليوم العصيب، لأن عيسى سينفي عن نفسه أمامهم أنه قال ذلك وإنما هو أمرهم بعبادة الله وحده. ولا شك أن النفي بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع وادعى لقيام الحجة على من وصفوه بما هو بريء منه (57).

وقوله تعالى: {قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} بيان لما أجاب به عيسى على خالقه عزَّ وجل. أي: قال عيسى مجيبا ربه بكل أدب وإذعان، تنزيها لك- يا إلهي- عن أن أقول هذا القول، فإنه ليس من حقي ولا من حق أحد أن ينطق به.

فأنت ترى أن سيدنا عيسى- عليه السلام- قد صدر كلامه بالتنزيه المطلق لله- عز وجل- ثم عقب ذلك بتأكيد هذا التنزيه، بأن أعلن بأنه ليس من حقه أن يقول هذا القول، لأنه عبد له تعالى ومخلوق بقدرته. ومرسل منه لهداية الناس فكيف يليق بمن كان شأنه كذلك أن يقول لمن أرسل إليهم اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثم أضاف إلى كل ذلك الاستشهاد بالله تعالى على براءته، وإظهار ضعفه المطلق أمام علم خالقه وقدرته فقال- كما حكى القرآن عنه- {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}.

أي: إن كنت قلت هذا القول وهو اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ فأنت تعلمه ولا يخفى عليك منه شيء- لأنك أنت- يا إلهي- تعلم ما في نَفْسِي أي ما في ذاتي، ولا أعلم ما في ذاتك.

والمراد: تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، وتعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وتعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل إنك أنت- يا إلهي- علام الغيوب.

فهذه الجملة الكريمة بجانب تأكيدها لنفى ما سئل عنه عيسى- عليه السلام- تدل بأبلغ تعبير على إثبات شمول علم الله تعالى بكل شيء، وقد أكد عيسى ذلك، بإن المؤكدة وبالضمير أنت، وبصيغة المبالغة «علّام» وبصيغة الجمع للفظ «الغيوب» فهو لم يقل: إنك أنت عالم الغيب وإنما قال- كما حكى القرآن عنه- إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ بكل أنواعها، وبكل ما يتعلق بالكائنات كلها(58).

وهناك أمثله كثيرة أخرى(59) لا مجال لسردها هنا -- كلها تبرز الدور الكبير والحيوي لأسلوب الحوار في القرآن الكريم في الدعوة لله تعالى والإخلاص له في العبادة، وإثبات الحقائق من وحدانية الله تعالى ووجوب الساعة، وقدرة الله سبحانه وتعالى ووجوب تنزيهه من كل نقص- سبحانه- ورفع مكانة الأنبياء والمرسلين، وبيان مهمتهم في الدعوة والإصلاح.

الخاتمة

في آخر المطاف نقدم بين يدّي القارئ الكريم، أهم نتائج هذا البحث والتي يمكن تلخيصها، بالنقاط الآتية :

1- التربية هي تنشئة، مبنية على مقومات إصلاحية، تهتدي بهدي الشرع وتستضيء بنوره، غايتها تنمية الشخصية البشرية؛ لتحقيق العبودية لله تعالى.

2- إن الأساليب القرآنية التربوية، هي مجموعات متميزة، متجانسة شملت اتجاهات مختلفة؛ اجتماعية وأخلاقية وعقائدية وثقافية، تساهم في بناء شخصية الفرد والمجتمع.

٣- جمع أسلوب الحوار في القرآن الكريم بين الحكمة والبلاغة، وقد أولى القرآن له أهمية بالغة.

٤- القرآن الكريم كتاب دعوة وإرشاد، لذلك نجد حرصه الشديد على استخدام أمثل الأساليب التربوية.

٥ -- كان أثر الحوار القرآني ولا يزال واضحاً جلياً على الفرد والمجتمع؛ من خلال ما جاء في كتاب الله عزّ وجل من آيات بيّنات.

6- يعتبر أسلوب الحوار من أبرز وأهم الأساليب التربوية الفاعلة والمؤثرة، وهذا من دواعي اهتمام القرآن الكريم بهذا الأسلوب، واستخدامه في مختلف القضايا، ومنها التربوية.

ونسال الله تعالى التوفيق والسداد فيما كتبنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

1- أخلاقيات الحوار ، عبد القادر الشيخلي، دار الشروق-عمان، ط1، 1993م.

2- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون 1428هـ-2007م.

3- آداب الاختلاف في الإسلام ، طه جابر فياض العلواني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، ط4، 1424هـ.

4- التأصيل الإسلامي لرعاية الشباب، صالح محمد عربي، دار الصحوة للنشر-القاهرة، ط1، 1985م.

5- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12.

6- تفسير القرآن العظيم "ابن كثير"، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -- بيروت، الطبعة الأولى - 1419 هـ.

7- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة -- القاهرة، الطبعة الأولى.

8- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر -- دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ،عدد الأجزاء : 30.

9- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الحديث -- القاهرة، الطبعة: الأولى،

10- التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

11- الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى1430 هـ - 2009 م - ماليزيا.

12- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط1، 1419هـ.

13- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط8، 1426ه-2005 م.

14- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ)، دار النشر : دار المعارف- القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

15- دور الحوار في الإصلاح التربوي، د. هلال حسين فلبمان، الرياض، ط3، 2006م.

16- الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) البخاري، الناشر: دار الشعب -- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407 -- 1987، عدد الأجزاء: 9.

17- الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد الحسن، دار المعاني- عمان، ط2، 1422 هـ.

18- الحوار آدابه وأهدافه، عبيد منصور الرفاعي، مركز الكتاب للنشر- القاهرة، ط 5، 1424 ه.ذ

19- الحق الإسلامي في الاختلاف ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- لبنان، ط1، 2005م.

20- الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، مركز الدارسات والبحوث- الرياض، 1424هـ.

21- الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، د.سناء محمود ، دار الأندلس الخضراء- جده، ط1، 1424هـ.

22- الريق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية- بيروت، 1424هـ.

23- التربية الوقائية في الإسلام، خليل عبد الله الحدري، دار الثقافة والعلوم- الرياض، 1418 هـ.

24- الحوار في القران،عبد الله سناء محمود، دار الأندلس الخضراء-جده، ط1/ 1969م.

25- الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين في الكتاب والسنة، سعيد إسماعيل، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني-الرياض، ط1، 1424هـ.

26- المُحاور المحترف آداب ومهارات، إبراهيم الديب، أم القرى-الرياض، ط1، 1426هـ.

27- مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، المؤلف: على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: 1421هـ - 2001م.

28- الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام ، دراسة موضوعية "، أحمد محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم1428ه.

29- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -- بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.

30- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية -- بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.

31-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م، عدد الأجزاء: 2.

32- الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية -- القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات).

33- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -- لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م، عدد الأجزاء: 4.

34- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

الهوامش

1) سورة الروم، من الآية: 39.

2) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف- القاهرة: 3/ 1573، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، المؤلف: على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، ط: 1421هـ - 2001م، (ص: 29).

3) ينظر: لسان العرب: 3/1574.

4) ينظر: لسان العرب: 1/402، 3/ 1547 ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون 1428هـ-2007م، (ص: 16).

5) ينظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: (ص: 29).

6) ينظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد:(ص: 17).

7) ينظر: الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ط: الأولى1430 هـ - 2009 م - ماليزيا، (ص: 7).

(8) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط1، 1419هـ، (ص 106).

(9) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م، (ص: 382،381).

(10) ينظر: لسان العرب: (2/ 1042).

(11) الحوار في القران،عبد الله سناء محمود، دار الأندلس الخضراء-جده، ط1/ 1969م، (ص: 78).

(12) أخلاقيات الحوار ، عبد القادر الشيخلي، دار الشروق-عمان، ط1، 1993م، (ص: 13).

(13) دور الحوار في الإصلاح التربوي، د. هلال حسين فلبمان، الرياض، ط3، 2006م، (ص:14).

(14) المصدر نفسه.

(15) ينظر: الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد الحسن، دار المعاني- عمان، ط2، 1422 هـ، (ص: 23).

(16) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: (ص: 36).

(17) ينظر: المصدر السابق، (ص:41).

(18) ينظر: الحوار آدابه وأهدافه، عبيد منصور الرفاعي، مركز الكتاب للنشر- القاهرة، ط: الخامسة، 1424 هـ، (ص: 9).

(19) المصدر السابق، (ص: 66).

(20) الحق الإسلامي في الاختلاف ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- لبنان، ط1، 2005م، ص: 23.

(21) سورة هود، الآيات: 32-25

(22) الحق الإسلامي في الاختلاف، (ص: 146).

(23) سورة العنكبوت، الآيات: 15-14.

(24) سورة الحجر، الآيات: 53-51.

(25) سورة الذاريات، الآية: 56.

(26) ينظر: الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين في الكتاب والسنة، سعيد إسماعيل، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني-الرياض، ط1، 1424هـ، (ص: 108).

(27) ينظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، مركز الدارسات والبحوث- الرياض، 1424هـ، (ص: 135)، الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، د.سناء محمود ، دار الأندلس الخضراء- جده، ط1، 1424هـ، (ص: 925).

(28) ينظر: الريق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية- بيروت، 1424هـ، (ص: 95).

(29) آداب الاختلاف في الإسلام ، طه جابر فياض العلواني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، ط4، 1424هـ، (ص: 11).

(30) سورة الإسراء: (من الآية 9).

(31) التربية الوقائية في الإسلام، خليل عبد الله الحدري، دار الثقافة والعلوم- الرياض، 1418 هـ، ص: 47.

(32)أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الآداب ، باب قول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، 8/30، برقم (6094).

(33) المُحاور المحترف آداب ومهارات، إبراهيم الديب، أم القرى-الرياض، ط1، 1426هـ، (ص:128).

(34)المصدر السابق، (ص: 45).

(35) ينظر: التأصيل الإسلامي لرعاية الشباب، صالح محمد عربي، دار الصحوة للنشر-القاهرة، ط1، 1985م، (ص: 41).

(36) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م: 7/465، الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام ، دراسة موضوعية "، أحمد محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم1428ه، (ص:53، 54).

(37) سورة الأنعام، (الآيات:80 -- 83).

(38) الحوار القرآني، (ص: 55).

39) سورة الأنعام، (الآية: 50).

40) سورة الأنعام، (الآية: 58).

41) سورة الزمر، (الآية: 23).

42) سورة النساء، (من الآية: 82).

43) الحوار القرآني، (ص: 55، 56، 57)، وينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -- بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ: (7/ 138).

44) سورة طه: (الآيات: 118،119)

45) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية -- بيروت، ط: الأولى - 1422 هـ: 4/67.

46) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الأولى، 1413 هـ - 1992 م: (1/ 384).

47) الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية -- القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964م: (11/ 253).

48) ينظر: الحوار القرآني، (ص: 58) ، وينظر: مناهل العرفان: 2/ 318.

49) الحوار القرآني، (ص: 59-55).

50) سورة البقرة: الآية 258.

51) سورة البقرة: الآية 259.

52) ينظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الحديث -- القاهرة، ط: الأولى، ص 57، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر -- دمشق، ط: الثانية ، 1418 هـ: 30، 3/34، 35.

(53) سورة الأعراف: 143.

54) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -- لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ - 1994م: 2/406.

55) سورة المائدة، الآية: 116.

56) ينظر: تفسير القرآن العظيم "ابن كثير"، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -- بيروت، ط: الأولى - 1419 هـ: (3/ 208).

(57) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة -- القاهرة، ط: الأولى: (4/ 348).

(58)التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي: (4/ 349).

59) ما جاء في قصة أصحاب الجنتين، سورة الكهف آية ١٨، وقصة قارون ومن معه، سورة القصص آية ٧٦، وقصة داود (عليه السلام) مع الخصمين، سورة ص آية ٢١،وقصة نوح عليه السلام مع قومه، سورة الأعراف آية ٥٩، وقصة أبني آدم، سورة المائدة ٢٧، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، سورة الكهف آية ٦٥. وغيرها الكثير.